والفكر الذي يحتاج إليه في الوصول إلى الدلالة يتمثَّل في القدرة على إدراك العلاقات بين الكلمات وكيفية بناء التراكيب « فإن المعاني الشريفة اللطيفة لابد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال إلى سابق . أ فلست تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله : (كالبدر أفرط في العلو) [١] إلى أن تعرف البيت الأول فتتصور حقيقة المراد منه ، و وجه المجاز في كونه دانيًا شاسعًا ، وترقم ذلك في قلبك ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البدر ، ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى ، وترد البصر من هذه إلى تلك ، وتنظر إليه كيف شرط في العلو الإفراط ليشاكل قوله (شاسع) لأن الشسوع هو الشديد من البُعْد ، ثم قابله بما لا يشاكله من مراعاة التناهي في القرب فقال : (جد قريب) فهذا هو الذي أردت بالحاجة إلى الفكر ، وأن المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيله . » [٢]

والجهد في الوصول إلى الفكرة والدلالة يقابله جهدٌ فني من المبدع في الوصول إلى الأداء الذي يحقق الغاية والهدف ، حيث تحمل – في سبيله – الشقة البعيدة ، وغاص لينال دُرَّه ، وكابد في سبيل ذلك الامتناع والاعتياص ، وبذلك يتكافأ الجهد في الجانبين : الإبداع والتلقي [٣] . ومسألة الغموض والوضوح لا ترتبط – عند الجرجاني – بالنوع الأدبي شعراً كان أو نثراً ، وإنما ترتبط بمستويات الصياغة ، فهناك المستوى العادي المألوف

---

(١) من قول البحتري :

دانٍ عَلى أيْدي العفاةِ وَشاسعٌ عَنْ كُلِّ نِدٍّ في النَّدى وَضَرِيبِ
كَالبَدْرِ أفْرَطَ في العُلوِّ وَضَوْءُهُ لِلْعُصْبَةِ السارينَ جِدُّ قَرِيبِ

(٢) الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .